

النوع الثالث

معرفة النهاري والليلي

أمثلة النهاري كثيرة. قال ابن حبيب: نزل أكثر القرآن نهاراً؛ وأما الليل فتبعَتْ له أمثلة:

منها: آية تحويل القبلة، ففي الصحيحين [البخاري: ٤٠٣، ومسلم: ١١٧٨، وأحمد: ٥٩٣٤] من حديث ابن عمر: بينما النَّاسُ بقبَاءَ في صلاة الصبح، إذ أتاهم آتٍ فقال: إنَّ النبي ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآنٌ، وقد أمر أن يستقبل القبلة.

وروى مسلم [١١٨٠] عن أنس: أن النبي ﷺ كان يصلي نحو بيت المقدس، فنزلت: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤]. فمرَّ رجلٌ من بني سلمة، وهم ركوعٌ في صلاة الفجر، وقد صلُّوا ركعةً، فنادى: ألا إنَّ القبلة قد حوِّلت، فمالوا كلُّهم نحو القبلة.

لكن في الصحيحين عن البراء: أنَّ النبي ﷺ صلَّى قبل بيت المقدس ستَّة عشر - أو سبعة عشر - شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنَّه أول صلاة صلاها العصر وصلَّى معه قومٌ، فخرَجَ رجل ممن صلَّى معه، فمرَّ على أهل مسجدٍ وهم راكعون، فقال: أشهد بالله، لقد صلَّيتُ مع رسول الله ﷺ قبل الكعبة، فداروا كما هم قبل البيت [البخاري: ٤٠، ومسلم: ١١٧٦ و ١١٧٧، وأحمد: ١١٤٩٦]. فهذا يقتضي أنَّها نزلت نهاراً بين الظهر والعصر.

قال القاضي جلال الدين: والأرجح بمقتضى الاستدلال نزولها بالليل؛ لأنَّ قضية أهل قبَاء كانت في الصبح، وقبَاء قريبةٌ من المدينة، فيبعد أن يكون رسول الله ﷺ أحرَّ البيان لهم من العصر إلى الصبح.

وقال ابن حجر: الأقوى أنَّ نزولها كان نهاراً، والجواب عن حديث ابن عمر: أنَّ الخبر وصلَّ وقت العصر إلى من هو داخل المدينة وهم بنو حارثة، ووصل وقت الصبح إلى من هو خارج المدينة، وهم بنو عمرو بن عوف أهل قبَاء. وقوله: «قد أنزل عليه الليلة» مجازٌ، من إطلاق الليلة على بعض اليوم الماضي والذي يليه.

قلت: ويؤيد هذا ما أخرجه النَّسائي [في «الكبرى»: ١١٠٠٤] عن أبي سعيد بن المعلَّى قال: مررنا يوماً ورسول الله ﷺ قاعد على المنبر، فقلت: لقد حدث أمر، فجلستُ، فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ حتى فرغ منها، ثم نزل فصلَّى الظهر.

ومنها: أو آخر آل عمران، أخرج ابن حبان في «صحيحه» [٦٢٠ وإسناده صحيح]، وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي الدنيا في «كتاب التفكير» عن عائشة: أن بلاً أتى النبي ﷺ يؤذنه لصلاة الصبح، فوجده يبكي، فقال: يا رسول الله، ما يبكيك؟ قال: «وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل عليَّ هذه الليلة:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ السَّمَاءِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] ثم قال: «ويل لمن قرأها ولم يتفكّر».

ومنها: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. أخرج الترمذي [٣٠٤٦] والحاكم [٣١٣/٢] وهو صحيح] عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يُحْرَسُ، حتى نزلت، فأخرج رأسه من القُبَّة، فقال: «أيُّها النَّاسُ، انصَبِرُوا فقد عصمني الله».

وأخرج الطَّبْراني [في «الكبير»: ١١٦٦٣] عن عِصْمَةَ بن مالك الحُطَمي قال: كنَّا نحْرُسُ رسول الله ﷺ بالليل حتى نزلت، فترك الحَرَسَ.

ومنها: سورة الأنعام، أخرج الطَّبْراني [في «الكبير»: ٢٤/٤٤٩]، وأبو عُبَيْدٍ في «فضائله» [ص ٢٤٠] عن ابن عباس قال: نزلت سورة الأنعام بمكَّة ليلاً جُملة، حولها سبعون ألف ملك يجارون بالتنسيخ^(١).

ومنها: آية الثلاثة الذين خُلِفُوا، ففي الصحيحين من حديث كعب: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَوْبَتَنَا حين بقي الثلث الأخير من الليل [البخاري: ٤٦٧٧، ومسلم: ٧٠١٦، وأحمد: ١٥٧٨٩].

ومنها: سورة مريم، روى الطَّبْراني [في «الكبير»: ١٢٩٣٠]، وأبو عبيد في «فضائله» عن ابن عباس قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت: وُلِدْتُ لي الليلةَ جاريةً، فقال: «والليلة أُنزلت عليَّ سورة مريم، سمَّها مريم».

ومنها: أول الحج، ذكره ابنُ حبيبٍ ومحمد بن بركات^(٢) السعديّ في كتابه «الناسخ والمنسوخ»، وحزم به السخاوي في «جمال القراءة»^(٣). وقد يستدل له بما أخرجه ابن مردويه عن عمران بن حصين: أنها نزلت والنبي ﷺ في سفر، وقد نَعَسَ بعضُ القوم وتفرَّق بعضهم، فرفعَ بها صوتُه... الحديث.

ومنها: آية الإذن في خروج النسوة في الأحزاب، قال القاضي جلال الدين: والظاهر أنها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. ففي البخاري [٤٧٩٥] عن عائشة: خرجت سودة بعدما ضُربَ الحجابُ لحاجتها - وكانت امرأةً جسيمةً لا تخفى على من يعرفها - فأراها عمر، فقال: يا سودة، أما والله ما تخفينَ علينا، فانظري كيف تخرجين. قالت: فانكفأتُ راجعةً إلى رسول الله ﷺ، وإنه ليتعشى وفي يده عِرْق، فقلت: يا رسول الله، خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا؛ فأوحى الله إليه وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: «إنه قد أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لحاجتِكُنَّ» [ومسلم: ٥٦٦٨، وأحمد: ٢٤٢٩٠].

قال القاضي جلال الدين: وإنما قلنا: إن ذلك كان ليلاً؛ لأنَّهم إنما كُنَّ يخرجنَ للحاجة ليلاً، كما في الصحيح عن عائشة في حديث الإفك [البخاري: ٤٧٥٠، ومسلم: ٧٠٢٠، وأحمد: ٢٥٦٢٣].

(١) جاز إلى الله: تَصَرَّحَ بالدعاء. «المختار»: جاز.

(٢) محمد بن بركات: المصري أبو عبد الله، شيخ مصر في اللغة، له: «الإيجاز في النسخ والمنسوخ» (ت: ٥٢٠ هـ). «حسن المحاضرة» ٣٠٧/١، و«شذرات الذهب» ٦٢/٤.

(٣) «جمال القراءة» ١/١٢٨.

ومنها: ﴿وَسَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ [الزخرف: ٤٥] على قول ابن حبيب: إنها نزلت ليلة الإسراء.

ومنها: أول الفتح، ففي البخاري [٤١٧٧] من حديث عمر: «لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة هي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس، فقرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾..» الحديث. [وأحمد: ٢٠٩].

ومنها: سورة المنافقين، كما أخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم. [٣٣١٣ وهو حسن صحيح].

ومنها: سورة (والمرسلات)، قال السخاوي في «جمال القرآن»^(١): روي عن ابن مسعود: أنها نزلت ليلة الجبِّ بحراء.

قلت: هذا أثر لا يُعرف، ثم رأيت في «صحيح الإسماعيلي» - وهو مستخرجه على البخاري -: أنها نزلت ليلة عرفة بغار منى، وهو في الصحيحين بدون قوله: ليلة عرفة [البخاري: ١٨٣٠، ومسلم: ٥٨٣٥، وأحمد: ٣٥٧٤]. والمراد بها ليلة التاسع من ذي الحجة، فإنها التي كان النبي ﷺ يبيتها بمنى.

ومنها: المعوذتان، فقد قال ابن أشتة في «المصاحف»: نبأنا محمد بن يعقوب، نبأنا أبو داود، نبأنا عثمان بن أبي شيبة، نبأنا جرير، عن بيان، عن قيس، عن عتبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزلت عليَّ الليلة آيات لم ير مثلهنَّ»: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْقَلْقَلِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

فرع: ومنه: ما نزل بين الليل والنهار في وقت الصبح، وذلك آيات:

منها: آية التيمم في المائدة، ففي الصحيح عن عائشة: وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ إِلَىٰ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُكُمْ﴾ [المائدة: ٦]. [البخاري: ٤٦٠٨، ومسلم: ٨١٦، وأحمد: ٢٦٣٤١].

ومنها: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. ففي الصحيح: أنها نزلت وهو في الركعة الأخيرة من صلاة الصبح، حين أراد أن يقنت يدعو على أبي سفيان ومن ذكر معه. [البخاري: ٤٠٧٠، وأحمد: ٥٦٧٤].

تنبيه: فإن قلت: فما تصنع بحديث جابر مرفوعاً: «أصدق الرؤيا ما كان نهاراً، لأن الله خصني بالوحي نهاراً»؟ أخرجه الحاكم في «تاريخه».

قلت: هذا الحديث منكراً لا يحتج به^(٢).

(١) «جمال القرآن» ١/١٤٥-١٤٦.

(٢) قال المناوي في «فيض القدير» بعد أن حكم على الحديث بالضعف: قد يقال: الرؤيا النهارية أصدق من الرؤيا الليلية ما عدا السحر جمعاً بين الحديثين. [وقد] قال الحاكم: صحيح. وأقره الذهبي في «التلخيص». «فيض القدير» ٥٣٠/١.

قلت: والحديث الذي أشار إليه المناوي هو: «أصدق الرؤيا بالأسحار» قد رواه أحمد في «مسنده» (١١٢٤٠)، والترمذي (٢٢٧٤) عن أبي سعيد. وإسناده ضعيف.